إهداء

إلى مَن مدَّ لي يد العون دائمًا، وكان له الفضل الأكبر بعد الله في كل ما أنجزتُ ...

إلى زوجي العزيز ... وأولادي إيناس ومحمد.

أُهدي هذا الكتاب.

كوكب عامر

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

المنهج هو الطريق المستقيم أو الصراط المستقيم الذي يسلكه الباحث للوصول إلى حقيقة ما في أي فرع من فروع العلم. وقد أدرك العلماء أهمية المنهج فجعلوا لكل فرع من فروع العلم منهجًا يتناسب مع طبيعة البحث في موضوعات ذلك العلم، وترجع تلك الأهمية إلى أن المنهج يرسم خطى واضحة للباحث يسير عليها في طريق بحثه تنتهي به إلى استخلاص القوانين العامة والنظريات الشاملة والنتائج الصائبة التي تحكم هذا العلم أو ذاك. والباحث بغير منهج أو خطة منظمة يضل الطريق ويتخبط في سبيل الاهتداء إلى الحقائق المستهدفة من بحثه.

وليس غريبًا -أو من المغالاة- أن نشغل أنفسنا بالبحث عن المنهج في القرآن الكريم والسُّنة الشريفة؛ فمن يدرس القرآن والسنة تدبرًا وتأملًا وتعمقًا يستطيع أن يقف على مناهج متعددة تقوم على استخدام العقل والحواس والقلب والحدس والفراسة والطبيعة والظاهرات الكونية، وتلك المناهج تخاطب جميع الناس على اختلاف تخصصاتهم وتباين بيئاتهم وتفاوت مستوياتهم الفكرية والثقافية، فهي مناهج تصلح لكل إنسان في كل زمان ومكان، قد وضعها الله لعباده لتهديهم إلى الصراط المستقيم، وهي مناهج تتسم بالعمومية والشمول والتكامل والتنوع، فهي عامَّة لأنها تصلح لكل الناس في جميع العصور والأماكن، وهي شاملة متكاملة لأنها تشتمل على أنواع متعددة ومختلفة من المناهج بتنوع الحقائق، واختلفت باختلاف العقول؛ فقد

وضعها الخالق الحكيم العالم بأساليب الحوار الصالحة لكل غرض وفي كل مناسبة وبالاستدلالات العقلية المنطقية؛ فامتازت بذلك على المناهج التي وضعها الإنسان للبحث في العلوم المختلفة في تكاملها وشمولها وتنوعها، فسبحان الله العظيم الذي لا يداني علمه علم، ولا توازي حكمته حكمة.

وقد خلق الله عقول البشر وجبلها على حب الجدل، وفطرها على طلب الدليل والبرهان الحسي والعقلي، فلا تسلم بشيءٍ إلا إذا ثبت صدقه، ولا تؤمن بصحة قضية إلا إذا تيقنت بالدليل المادي أو الحوار العقلي من صدقها ...

قال تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا﴾. وقد بلغ من عظمة تلك المناهج الربانية أنها تخاطب الحس والعقل والقلب، وتضع الأمور في نصابها بمنطق سليم تطمأن له النفس، ويقنع به العقل، وتدرأ به الشبهات.

وكان اهتمام الإسلام شديدًا بصقل عقول الناس وتنوير بصائرهم وتنقية سرائرهم وتطهير نفوسهم، فوضع أسس عامة للتفكير السليم والسلوك المستقيم والأخلاق الكريمة، إلى جانب المنهج القويم، وأشبع حب الإنسان الفطري للجدل وطلب الدليل والبرهان، وخلق المناخ الفكري السليم الذي يحرر العقل من الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى، ويهديه إلى سبيل الرشاد. ومن ثم فقد جاء هذا البحث عن المنهج في القرآن والسُّنَّة في فصلين؛ **الأول** يعرض الخصائص ومميزات التفكير السليم كما جاءت في القرآن والسُّنَّة؛ كالدعوة إلى التخلص من الخرافات والأفكار المتوارثة والانفلات عن القديم وتنحية الذات، وطرح الهوى وإقصاء الخبرة الذاتية، والالتزام بالموضوعية، والبحث عن الحقيقة الواضحة المتميزة، وإبطال الباطل وإحقاق الحق، واليقظة

العقلية وعدم الغفلة، والتسليم بمبدأ السببية العامة، وانتظام السنن الكونية، مع عدم الربط الحتمي والضروري بين الأسباب والمسببات وطلب الحجة والدليل العقلي والحسي، والدعوة إلى العمومية والشمول والتكامل، وتحريم الاشتغال بالسحر والكهانة، والصبر والمثابرة، وعدم التسرع في الوصول إلى الحقيقة، والاستعانة بأهل العلم والخبرة للوقوف على الحقائق، والجدل والمحاورة بالحسنى، والدعوة إلى الحق بالموعظة الحسنة، والتزام الأمانة في الأقوال والأفعال، وحرية الفكر، وحرية العقيدة، وعدم التعصب والعنصرية، والدعوة إلى النظر العقلي، والبحث في الظواهر الكونية، وتقدير قيمة العلم والعلماء.

والفصل الثاني يعرض للمناهج المختلفة التي أمكن تبينها في القرآن والسُّنَّة؛ كالمنهج الاستقرائي، والمنهج الاستدلالي، ومنهج الجدل، ومنهج التاريخ أو الاسترادي، والمنهج المقارن وغيرها من المناهج.

ولا ريب أن الاتجاه لدراسة المنهج في القرآن والسُّنَّة اتجاه سليم ينبغي الاهتمام به في عصرٍ أصبح فيه المنهج ضرورة علمية، كما ينبغي أن تلقى هذه الدراسات ما تستحقه من اهتمام؛ وهي دراسة تتطلب الفهم العميق لآيات القرآن والسُّنَّة الشريفة. وهذا البحث المتواضع خطوة على الطريق، وأرجو أن يكون كذلك، والله الموفق.